مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 07 عدد: 01 السنة: 2021 E-ISSN:2588-2325

طقوس السنة الفلاحية بقبائل زيان المغربية من خلال قصيدة تراثية

The rituals of the agricultural Sunnah in the Moroccan tribes of Zaian through a traditional poem

جواد التباعي*، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب tabbaijaouad@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/21 تاريخ القبول: 2021/05/29 تاريخ النشر: 2021/06/05

ملخص:

للأوضاع المناخية منذ بداية الخلق حتى اليوم بالغ الأثر في نفسية إنسان المغرب الجبلي. ويتجلى ذلك في كثرة الأمثال والأقوال والحكم والقصائد الرائجة حول طقوس السنة الفلاحية. فقد اعتبرت خزانا للتراث الثقافي اللامادي القروي، وعصارة تجارب لأجيال عديدة، اعتمد ويعتمد عليها الزيانيون في إنجاز أعمالهم. ويرتب من خلالها الفلاحون أعمال الموسم الفلاحي من حرث، وغرس، وتشذيب، ومعالجة للنباتات، وحصاد ودَرس وجمع المحاصيل وطرق تدبير مخازنه... ينطلق هذا المقال من قصيدة فلاحية تراثية للتنقيب في هذا الموروث الأنثروبولوجي وسبر بعض أغواره.

الكلمات المفتاحية: المغرب، قبائل زيان، السنة الفلاحية، عادات، طقوس.

Abstract:

The climatic conditions from the beginning of creation until today had a great impact on the psyche of the inhabitants of the mountains of Morocco. This is evidenced by the abundance of proverbs, sayings, sayings and popular poems about the agricultural rituals of the year. It was considered the village's reservoir for intangible cultural heritage, and the experiences of many generations, AlZyani relied her to accomplish work.

* المؤلف المرسل

Through it, farmers arrange the activities of the agricultural season, such as plowing, planting, pruning, processing plants, harvesting, collecting crops, and methods of managing its stores ... This article starts from a traditional agricultural poem to explore this anthropology of heritage and explore some of its depths.

Keywords: Morocco, Zaian Tribes, Agricultural Year, traditions Rituals.

مقدمة:

قال تعالى {هوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}" (القرآن) وقال عز من قائل {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}(القرآن). انطلاقا من الآيتين الكريمتين يتضح أن من بين مقاصد خلق الكون عموما، والمجموعة الشمسية بصفة خاصة لفت نظر الإنسان للدراسة والتأمل في الفلك وحساب منازله وتوظيفها في حياته حسب قدراته المعرفية. فقد يسر الله عددًا من الظواهر الطبيعة التي تتكرر بانتظام، بشكل يجعلها صالحة لقياس الزمن بوحدات متفق عليها لدى الجميع، أينما كان موقعهم على سطح الأرض (سميح، 1994). لذلك كان ولايزال للأوضاع المناخية وتغيراتها المستمرة، بالغ الأثر في نفسية إنسان المغرب الجبلي منذ القديم. يتجلى ذلك في كثرة الأمثال والأقوال والحكم الرائجة حول المنازل الفلاحية، والتي شكلت خزانا مهما للتراث الثقافي اللامادي القروي، وعصارة تجارب فطرية لأجيال وقرون عديدة (العزيز، 2013)، كان الزيانيون ولازالوا يعتمدون عليها في إنجاز أعمالهم. يتعرف من خلالها الفلاحون على الأعمال التي عليهم القيام بها من حرث، وغرس، وتشذيب، ومعالجة للنباتات، وحصاد ودَرس...، وعليها يعتمد الأئمة والمؤذنون في تحديد أوقات الصلاة، قبل ظهور وانتشار الساعات وحتى اليوم .رغم التغيرات المناخية التي قلبت العديد من ثوابت الموروث الثقافي الفلاحي العريق. وبالنظر لخطر النسيان الذي يتهدد المنازل الفلاحية بفعل موت الشيوخ، وصرف الشباب نظرهم عنها، باعتبارها تراثا متجاوزا، وتسرب ثقافة الحواضر وغزو التكنولوجيا للبوادي.

من هنا نحاول في هذا مقاربة إشكالية الثابت والمتحول في التراث الزراعي من خلال ترتيب المنازل الفلاحية وإبراز أهم مظاهرها الثقافية من خلال النموذج الزياني.

[1] انطلاقا من فرضيات أهمها :

فرغم جهل العديد من الفلاحين بهذه المنازل والطقوس، فإن أغلبية المسنين لازالوا يضبطون توقيت هذه المنازل، ويأخذون أمثالها وحكمها على محمل الجد. ونرجح فشل خطر النسيان الذي يتهدد المنازل الفلاحية بفعل موت الشيوخ، وصرف الشباب نظرهم عنها، باعتبارها تراثا متجاوزا، وتسرب ثقافة الحواضر وغزو التكنولوجيا للبوادي.

نتوخى من خلال هذا المقال تثمين التراث الثقافي الفلاحي ببلاد المغارب، وإقناع المعنيين بالعمل بخلاصات تجارب الأجداد التي أثبتت فعاليتها في المجتمع حتى اليوم.

1. طقوس ومنازل النصف الأول من السنة الفلاحية:

جمع المنازليون المنازل الفلاحية السابقة في خرائط وخطاطات مختلفة الأشكال وأرجوزات، استعنا في هذه المقالة بنموذج منها عثرنا عليه لدى أحد شيوخ شرفاء فر ع آيت نوح من قبائل زيان وسط المغرب محفوظة في صدره ومدونة في أوراق قديمة، وقد أكد لنا أنه درسها على يد أحد شيوخه خلال أربعينات القرن الماضي بإحدى المدارس العتيقة ب "عين معزة" بمدينة مكناس.

1.1 طقوس السنة الفلاحية بين يناير ومارس:

يقول الناظم في بيته عن شهر يناير :

يَنَايِر دِ* بُلَغْ طِ*دَلْوُ سَعْدَ زَيَا* تزز لَيَالِكْ* دَاغْ وَالْحَرْثَ كَزْدَغْ* لْخْبِيَا*

وبتتبعنا لأهم طقوس السنة الفلاحية في شهرها الأول نجد أنه اليوم الرابع من يناير تدخل منزلة سعد البولع (**بين17 يناير الميلادي و29منه/04 . 16 يناير الفلاحي**) تسوء أحوال الجو في هذه المنزلة، حتى قيل فيها: "**فسَعدْ البُولَغْ، يْجمدْ الماء في رُوسْ لقُورغْ**"، وقد تسوء الوضعية، فيتم استعمال بعض الأدوات الفلاحية والمنزلية في مواقد النار طلبا للدفء. وفي التاسع منه يخرج برج الدلو وهو أحد الأبراج الهوائية.

[1] **إتحادية زيان:** زيان فرع من قبائل آيت اومالو من صنهاجة، وأهم ركائزها، جاء معظمها من الجنوب المغربي والأطلس الكبير، وصل الزيانيون إلى م نحو الأطلس المتوسط الغني بإمكانياته الاقتصادية وثرواته الطبيعية مع نهاية القرن 13م، فاشتد التنافس بين القبائل الوافدة والأصلية، وبين الوافدين فيما بينهم حول المواقع والموارد. بلغ عدد العائلات الزيانية 9000 عائلة قبيل معركة لهري، أي ما يناهز 45 ألف نسمة، وأكثر من 2500 خيال "مما جعلهم قوة مهيبة تميز بخفتها وعقليتها الهجومية وقدرتها الفطرية على المناورة". ووفق تقديرات1338هـ/1920م ضمت الكونفدرالية حوالي أحد عشر ألف ومئتي خيمة، وشملت سبع اتحاديات هي: آيت سكُوكُو، وآيت حركات مجموعة أكلموس، وآيت حركات مجموعة خنيفرة، وآيت شارط، وإبوحسوسن، وآيت بوحدو، وآيت سيدي بوعباد يستقرون اليوم في حوالي 80% من إقليم خنيفرة الحالي.

ويتميز اليوم التاسع عشر منه بدخول سعد الخبية (**بين12 و24 فبراير/ 30 يناير. 11 فبراير الفلاحي**) وهي آخر منازل فصل الشتاء، تشرع فيها الحشرات النوَّامة والقوارض بالخروج من جحورها، ويبدأ موسم تزاوج الحيوانات، لذلك قيل فيها: "**سَعْدُ الخُبيَةْ كَتفْرحْ البنتْ واللبِيةْ (اللبؤة)** (منية، 2008) ، **وتْخرجْ فيه كُل من هي مْخَبْيَة، وتفرْحْ كل من هي مْربْية (الطيور)، ويْسخُن الماء في الوُنْيةْ**". ويبدأ التحول التدريجي نحو الحيوية والنشاط لدى المواشي، ويعبر عنه في أزاغار زيان بهيجان الثيران. وأشهر أيامها يوم 31 يناير المعروف بيوم "تامْغاَرتْ"[1]

يتميز يومه العشرون بخروج منزلةالليالي، وينتهي موسم الحرث في السابع والعشرين منه، أما في الثلاثين منه فيخرج سعد الخبية التي تتخللها العديد من الأحداث والظواهر أهمها:

.بداية تباشير فصل الربيع بخروج أولى أزهاره، وبداية غرس الأشجار.

.تجد المرأة خلالها شمسا كافية لتجفيف ملابس أبنائها الصغار في يوم واحد.

.يبدأ التحول التدريجي نحو الحيوية والنشاط لدى المواشي، ويعبر عنه في أزاغار زيان بهيجان الثيران.

.يُشاع أن كل من وُلِد في هذه المنزلة يكون ذكيا، وأشهر أيامها يوم 31 يناير المعروف بيوم "تامْغاَرتْ".

وجاء في تلخيص الناظم لطقوس شهر فبراير :

فَبْرَايْرَ آحْ[2] حُوتٌ يَبِّ[3] قَدَّمْ يَهِّ[4] رَبِيعُ آخِرْ مَعَ حُسُومَ فِي كَهِّ[5]

ففي يومه السابع يبدأ برج الحوت، وفي يومه الخامس عشر يبدأ فصل الربيع. وتدخل منزلة **فَرغْ المُقدَمْ (من 25 فبراير إلى 09 مارس / 12 فبراير الفلاحي إلى 24 منه) في اليوم الخامس والعشرين**، تكون أمطارها مرغوبة، وبَردها مُهلك للثمار (محمد،161، 2008). يرغب المنازليون في الإكثار من العمل فيها بقولهم: "**إيْلا طْلَعْ فَرغْ المْقَدَّمْ، اخْدَمْ ومَا تندَمْ**". تبدأ خلالها مياه الأنهار والأودية بالدافق بعد نزول

1 **العدوزة (تامغارت):** تعد جزءا من اللَّيالِيْ الصغيرة، تصادف31 يناير الفلاحي من كل سنة، وأسطورتها شهيرة لدى أغلب شعوب البحر الأبيض المتوسط المغرب والأردن ويوغوسلافيا، وفرنسا...، تروي الحكاية عن امرأة عجوز كانت تملك قطيعا من الأبقار ترعى في الجبال، وتحتفظ بعجل صغير في البيت لشدة البرد، وعند انتهاء يناير الذي كان عدد أيامه ثلاثين يوما،، سَخِرت المرأة من يناير بعد أن دفعت عجلها للرعي خارجا قائلة: "أُخرُج لترعى فقد خرج يناير أبُو المُخَاط"، فاستعار يناير اليوم الواحد والثلاثين من فبراير، وسلط عليها بردا وأمطارا غزيرة قتلت العجوز والقطيع. تعد عجوز يناير يوم شؤم عند الزيانيين، بسبب طقسها الرديء كعتبة للفصل أو السنة ، يقول فلاحوها أن جديانك ليست لك مالم يخرج يناير .

2 (8) ثمانية أيام منه يدخل بطن الحوت وبرج الحوت.

3 (27) سبع وعشرون عشر يوما منه يدخل فرع المقدم.

4 (15) خمسة عشر يوما منه يدخل فصل الربيع.

5 (25) خمسة وعشرون يوما منه يدخل فرع المؤخر.

جمرة الماء في27 فبراير من كل سنة، تمهيدا لحلول الربيع في اليوم الموالي (28 فبراير)، يتخللها أيضا نزول جمرة التراب (بين 06 و10 مارس) بعد دخول الربيع، حيث تبدأ الأرض بدورها في الدفء تدريجيا.

وعن شهر مارس يقول :

وَمَارِسُ ذْ[1] حُسَومَ دَعَّ وَيَتَّجٍ[2] بَطْنُ حَمَلْ عَدِّلْ وَلِلنَّطْحِ كَجِ[3].

يعرف هذا الشهر بداية منزلة فرغ المُؤخَرْ(من 10 مارس إلى 22منه/ 25 فبراير 09 مارس الفلاحي):

يعرف الأسبوع الأول منها (10.17مارس/ 25 فبراير.4 مارس الفلاحي) بأيام الحسوم، وهي آخر مرحلة بين فصلي الشتاء والربيع، وإحدى أسوأ المنازل ذكرا لدى فلاحي المناطق الجبلية على الخصوص. تتميز بهبوب رياح مفاجئة لا تنسجم مع اعتدال هذا الفصل، وذلك بالتزامن مع بداية تلاقح الأشجار والنباتات. بعد نهايتها يبدأ الفلاحون بزراعة مختلف أنواع البطيخ والخيار...، وقبل انتهاء "الحسوم" يحدث استواء الليل والنهار، يحدده الفلاحون من خلال حجم أوراق الأشجار فيقولون: "**منِينْ تكُونْ وُراقْ الشْجَر قَّد ودِينَاتْ الفَارْ، كايْتقَادْ الليل مع النهَارْ**".

في يومه العاشر أيضا يخرج الحمل تدخل منزلة بطن الحوت (**من 23مارس إلى 04 أبريل/ 10مارس الفلاحي إلى 22 منه).** وتعد هذه المنزلة حاسمة في نجاح أو فشل الموسم الزراعي بكامله، ففيها تمتلئ السنابل، وتصبح الحاجة ماسة للأمطار، لتروي ظمأ السنابل البارزة حديثا وإلا كان المحصول الفلاحي ضعيفا، فنطبق على الموسم الفلاحي المثل الشعبي "**اللِّي حْرَثْ الجْمل دگّو**"، أما إذا ارتوت الأرض في هذه المنزلة، فإن المحاصيل لا تتأثر بأي تقلبات محتملة في منزلة النطح التي تليها، وفي هذا الصدد يقولون: "**إيْلاَ زوَات فبَطن الحُوت وَاخَا يسُوط النَطْح بالحَانُوتْ**"[4]. وتعد هذه المنزلة هي الوقت المثالي لزراعة الحبوب الربيعية خاصة الذرة. جمعها المنازليون في قولهم: "**بَطْن الحوتْ...الْمَا ولا نمُوتْ....الذرة ولا نفُوتْ**".

يتميز اليوم الثالث والعشرون من مارس الفلاحي بدخول منزلة **النَطْحْ أو الشَرطَّانْ (بين05 و17 أبريل/23 مارس . 04 أبريل الفلاحي):** وتنعت هذه المنزلة بقلب الربيع، سميت بالنطح لأن بذور النباتات تنطح التراب وتخرج شتلتها الأولى، لتنمو بسرعة كبيرة بعد أمطار بطن الحوت وحرارة الربيع المعتدلة. وتسمُن خلالها المواشي بعد هزل الشتاء والخريف، ونظرا لسرعتها، شبهت العملية بالمدة التي ينطح فيها ثور أو بقرة شخصا ما، ويحذر المثل الفلاحي "**بِينْ الفُولَةْ والسبُولَةْ كَيمُوتْ ولْدْ المهبُولَةْ**"

1 (4) أربعة أيام منه يخرج الحسوم.

2 (10) عشرة أيام منه يدخل بطن الحوت ويخرج الحمل وهي منزلة الاعتدال الليل مع النهار.

3 (23) ثلاثة وعشرون منه يدخل منزل النطح (الشرطان)

4 الحانوت المقصود به المنفاخ (الرابوز).

الأمهات من تخفيف ثياب أبنائهن دفعة واحدة، حتى لا يكون مصيرهم الهلاك لعدم استقرار طقس هذه المنزلة. ويقول فيها فلاحو زيان الغربية "**إيْلاَ روَاتْ فالنَطْحْ، غير يَتْحَزّم الفَلاَّحْ للشَطْحْ**"، أي: فليستعد الفلاح للاحتفالات لكون السنة الفلاحية أكملت شروط نجاحها، وانتفت معظم المخاطر. ويقولون عنه أيضا: "**فالنْطَاحَاتْ كَيتقَادُو الشَّطَّاحَاتْ**"، وإلى حدود اليوم لازالت هذه الفترة من أكثر أوقات السنة إقامة للمهرجانات، والمواسم والخُطوبآتْ، وعقود القران بقبائل الاتحادية استعدادا لأعراس الصيف التي لا تتوقف إلا لتبدأ من جديد.

2.1 طقوس ومنازل السنة الفلاحية بين أبريل ويونيو.

يلخص الناظم أبرز طقوس شهر أبريل بقوله:

إِبْرِيلُ ه[1] الْبُطِينُ طِ[2] الثَّوْرُ حَصَلْ حَيَّ[3] ثُرِيَّ وَكَزّ[4] نِسَانُ حَلْ

بعد خمسة أيام من بدايته تدخل منزلة **البَّطين (من 18 أبريل إلى 30 أبريل/5 أبريل الفلاحي إلى 17 منه)** يُعتقَد أنها من أقل المنازل مطرا، لأنها أول القيظ، يبدأ فيها منسوب مياه الوديان بالانخفاض خاصة بقدم الجبل لطبيعته الجيولوجية النفاذة. تزداد فيها حفلات الخطوبة في السنوات الخصبة، ويعتقد معظم البدويين أن المرأة التي تحبل خلالها تلد طفلا ذكرا، وخلالها إما يثمر الزرع أو يموت في سنبله إذا كانت السنة عجفاء، لذلك قيل فيه: "**يَبْطَن ولاَّ يبْطَلْ**" أي: يثمر لتدخل حبوبه بطن الإنسان، أو تبطل العملية فتأكله المواشي والطيور دون حصاده.

خلال اليوم التاسع من أبريل يدخل برج الثور، وفي اليوم الثامن والعشرون منه تدخل منزلة **الثُرِيَا أو النجم (بين01 و13ماي/18. 30 أبريل الفلاحي)** يروي العارفون أنها تصغير ثروى وأصلها الثروة، أي الكثرة، لأنها فترة بداية جمع المحصول، تتميز بدخول النيسان في 10ماي. وتتزامن مع بداية موسم حصاد المنجل (لحسن، 2013) ، ويكون مرفوقا بأهازيج محلية نورد منها على سبيل المثال:

أُيَاشَالِ نْمْرازَامْ لْحْسَابْ : أيتها الأرض لندع الحسابات جانبا

مْشْ تْورُودْ شَا نْتْشَاتْ : فما من شيء تنبتينه إلَّا أكلناه

غِيسْ ثنُورو إيدّادْ غُورُونْ[5] **: وما نلده نحن سيأتي إليك لا محالة.**

خلالها يبدأ أيضا نقل الزرع من الحقول إلى البيدر في أزاغار، وهو ما يؤكده المثل الفلاحي

1 (5) خمسة أيام منه يدخل منزل البطين.

2 (9) تسعة أيام منه يدخل برج الثور.

3 (28) ثمانية وعشرون يوما منه تدخل منزلة الثريا.

4 (27) سبع وعشرون يوما منه يدخل النيسان.

5 أبيات عن الشاعر محمد باجي(40 سنة)، قرية أولغس، قبيلة آيت بومزوغ، ماي2018.

"**الثُّرَيَا تصيبْ المَطْ**[1] **علَى كُل ثُنِيَة ولاَ تْصِيبْ النْوَادَرْ**[2] **مَبْنِيَة ولاَ كُلْ فَدَّانْ تْدي منو كَلِيَة**". يقال عنه أيضا: "**النِيسَانْ منَغْ إيْسَانْ**" (أبريل قاتل الخيول).

ويلخص الناظم طقوس ومنازل شهر ماي بقوله:

مَايُو أْ[3] دَبَرْ نِسَانُ جِدْغْ[4] جَوْزَاءْ يَالهَقْعَ[5] يَدْ[6] صَيْفْ يَزّ[7] الْهَنْعْ كَزّ[8]

في الفاتح منه تدخل منزلة **الدَّبَرانْ (من 14 ماي إلى 26 ماي/ 01 ماي إلى 13 منه)** آخر منازل الربيع، وتعرف خروج النيسان بعد ثلاثة أيام، فتجف خلاله غدران أزاغار، ويكثر فيها الذباب بكثرة اللبن، ويتزايد خطر الحرائق، وينام الصبيان في أي مكان. وتنضج حقول المناطق المتأخرة في السهل لذلك يقولون: "**فِالدَّبَرانْ يِطِيبْ الزْرَعْ واخَا يكُونْ فالغُثْرانْ**[9] **قْطَعْ لا تْدَبَرْ**" كما يكثر خلالها تزاوج معظم الحيوانات. وفي اليوم العاشر منه يدخل برج الجوز. وخلال اليوم الرابع عشر منه يدخل منزل الهقعة **(من 27 ماي إلى 08 يونيو الميلادي/14ماي الفلاحي إلى 26 منه).** سُمّيت هَقعَةً تشبيهًا لها بدائرة من دوائر الفرس يقال لها الهقعة (الجوهري، 1987)، كما تطلق على دوائر من الشعر تنتشر على صدره (غازي، 2008). تواكب هذه المنزلة نهاية موسم الحصاد، حيث ترتفع درجات الحرارة، ويزداد توتر الفلاحين بسبب جفاف الحقول[10]، واشتداد يبسها لدرجة يستعصي على الفلاح حصادها. وتبدأ هشاشة وانكسار السنابل، مما يجبره أحيانا على الحصاد في الصباح الباكر، أو ليلا تحت ضوء القمر خوفا من عودة الأمطار العاصفية التي تهدد المحاصيل، خاصة في القسم الجبلي من مجال الدراسة.

1 **المط (تادلا):** جمع مطة أو غُمْرَة وهي الحزمة من السنابل بعد حصادها، ومنه اشتق اسم سهل وقصبة تادلا المجاورين.

2 **النوادر:** جمع نادر وهو الكومة الكبيرة من حزم السنابل التي يتم جمعها في البيدر قبل مباشرة الدرس، كما يطلق أيضا على الكومة الكبيرة من التبن بعد جمعه على شكل هرمي وتبليطه بالطين المخلوط بالتبن، أصبح يطلق خلال السنين الأخيرة على الكومة من التبن المجموع بواسطة الآلة.

3 (1) اليوم الأول منه يدخل الدبران وهو منزلة.

4 (3) ثلاثة أيام منه يخرج النيسان.

5 (10) عشرة أيام منه يدخل برج الجوز.

6 (14) أربعة عشر يوما منه يدخل منزل الهقعة

7 (17) سبع وعشرون يوما منه يدخل فصل الصيف

8 (27) سبع وعشرون يوما منه يدخل منزل الهنعة

9 **الغثران:** جمع غثرة وهي المنطقة الرطبة المشجرة المتشابكة الأغصان.

10 من الروايات المحلية المتداولة في هذا الشأن أن فلاحين اختلفا حول من له الأسبقية في تشغيل فرقة من الحصادين في حقله اليابس ووصل الخلاف إلى مكتب قائد المنطقة الذي استعصى عليه الحل، فأمر بسجنهما فأجابه أحدهما بالمثل **"أور سولاخ إي الحبس أ القايد واسا"** أي: لست متفرغا للسجن الآن وسأعود إليه بعد نهاية الحصاد.

يقال عنها: **"فالهَقْعَة تَيْمُوتْ مُولْ الفَدَّانْ بِالخلعة"**، وأيضا: **"فالهَقعةْ الجْبَنْ بالمْغَارفْ، والمِيصْ للشَّارفْ والكرمُوصْ للهَارفْ"**، وهي بداية رجوع المنتجعين من أزاغار إلى الجبل.

ينطلق خلالها موسم الدرس التقليدي الذي يتطلب ربط أربعة دواب من أعناقها إلى بعضها البعض، وشدها إلى عصا كبيرة تتوسط البيدر. تدور حولها الدواب في أحد الاتجاهين إلى أن ينتهي طول الحبل، ثم يتم تغيير الاتجاه. ويستمر الانسداد والاتساع إلى أن ينعزل المحصول عن التبن، لتبدأ بعد العصر عملية التدرية وعزل الحب عن التبن وخزنه في المخازن.

خلال اليوم السابع والعشرون يوما منه يدخل فصل الصيف بالتزامن مع بداية منزلة الهنعة وهي منزلة شبه مجهولة من طرف الفلاحين لأن تأثيرها على الموسم الفلاحي ضعيف جدا

وعن طقوس ومنازل شهر يونيو يقول الناظم:

يُونْيُ طْ[1] دِرَاعْ يَا[2] نِيْقَلِبْ النَّثْرَةْ كَبَّ[3] سَرَطَانْ يُو[4] گَّدِ[5] عَنْصَرَةْ

في اليوم الثاني منه تنقلب الشمس، وفي اليوم التاسع منه يدخل منزل **الذِراعْ (من22 يونيو إلى 04يوليوز/9 يونيو الفلاحي إلى21 منه)** لكنها تبقى منزلة شبه مجهولة عند الزيانيين، يتجاهلها الفلاحون لتزامنها مع نهاية الموسم الفلاحي، وبداية فترة راحة مؤقتة استعدادا للموسم الفلاحي التالي. وخلال اليوم العاشر منه يدخل برج السرطان.

خلال اليوم الثاني والعشرون منه تدخل منزلة **النَثرةْ (من05 إلى 17 يوليوز/22 يونيو إلى 05 يوليوز الفلاحي)**. وأهم أيام هذه المنزلة هو يوم العَنْصرَةْ، الذي يوافق منتصف السْمَايمْ في 7 يوليوز/24 يونيو الفلاحي من كل سنة، يكتسي أهميته من كونه اليوم الذي ولد فيه نبي الله زكريا. وأصل الاحتفال بهذا اليوم حسب الرواية المتداولة، إن ماشية راعٍ أصيبت بمرض، فبدأ يحرق البخور وسطها كل يوم إلى أن حل يوم 24 يونيو فشفيت. ويسود الاعتقاد أن العام الذي يكون فيه يوم العَنْصرَةْ غائما يكون جيدا. يمارس خلاله فلاحو المنطقة طقوسا نارية ومائية اعتقادا بدورهما الوقائي، فيحرقون المتلاشيات، ويضرمون النار في نباتي الدفلى والزعتر قرب الدواب بحضور أفراد العائلة. ويستنشق الجميع الدخان المتصاعد للوقاية من أمراض المرحلة الانتقالية بين الربيع والصيف، كالزكام وآلام الرأس، والتوتر والقلق... ويعتقدون أن سحائب الدخان يمكن أن تتحول إلى غيوم ممطرة، تطهر الهواء

1 (9) تسعة أيام منه يدخل منزل الدراع

2 (10) عشرة أيام منه تنقلب الشمس

3 (22) اثنان وعشرون يوما منه يدخل منزل النثرة.

4 (10)عشرة أيام منه يدخل برج السرطان.

5 (24) أربعة وعشرون منه تدخل العنصرة

من التأثيرات السيئة والقضاء على الأرواح الشريرة (دوتي، 2011)، ويجمع فيها العسل من الخلايا (العزيز، 2013)، ويتبادل الفلاحون الرش بالماء، وهي في نفس الوقت مناسبة تطهير للبيت وتحصين للماشية. تمنع الدواب طيلة هذا اليوم من شرب المياه، وينصح فلاحوا الجبل بعدم حصد الحبوب التي يراد اتخاذها بذورا للموسم الذي يليه (غازي، 2008)، ويجتمع الفلاحون وسط حقولهم الصفراء فرحا بالموسم الفلاحي الذي يوشك على الانصرام، وتيمنا بموسم مقبل أفضل، تفتح خلالها البساتين ويسمح للأطفال بقطف الثمار الناضجة، وترفع أكف الضراعة للعلي القدير بأن يكون الموسم التالي أفضل (محمد، 2013)، ويختتم الطقس بالفاتحة وأهم ما قيل عنه:

- ✓ "العَامْ يْبَانْ من الخْرِيفْ والعَنْصرَةْ تسبَق"
- ✓ "إيْلا دَخلتْ العَنْصرَةْ عبُوس، يفْرَحْ مُولْ العَتْرُوسْ (التيس) ويْنكَد مُول الكَّرمُوسْ"[1].
- ✓ "فالعنصرة الأرض كتحشم والبصلة مابقاش تتحزم والعقرب كتتحكم والقصبة كتتلجم"[2]

2. طقوس ومنازل النصف الثاني من السنة الفلاحية:

1.2. طقوس ومنازل السنة الفلاحية بين يوليوز وشتنبر.

يلخص الناظم طقوس ومنازل شهر يوليوز بالقول:

يُولْيُوزْ هِ[3] اَلطَّرْف يَ[4]بِّ سَمَائِمْ أَسَدْ أَيْ[5] جَبْهَةْ حَيَّ[6] تُقِيمُ فِيهَا يَدْ[7]

بعد خمسة أيام من بدايته تدخل منزلة الطرفة (**من 18 يوليوز إلى 30 يوليوز/ 5 يوليوز الفلاحي إلى17 منه**) يحل خلالها وقت الجني المبكر فتقل التكاليف، ويرتفع ثمن الفواكه في السوق. وعنه يقولون: **"إيْلاَ طَلَعْتْ الطَرفَة بَكرَتْ الخَرفَةْ وهَانْت علَى الضَيفْ الكُلفَةْ"** (غازي، 2008)، وتدخل السْمَايمْ، كما تعرف أيضا بدخول "أوسّو" في 25 يوليوز الميلادي والذي يمتد إلى غاية02 شتنبر، وهي

1. وتعني هذه القولة أنه في حال عبست السماء أي تلبدت بالغيوم يفرح صاحب البقر لأن الموسم سيكون جيدا، وسترتفع أثمان الأنعام. بينما يصاب صاحب التين ببلاء عظيم بسبب فساد محصوله المجفف فوق الأسطح بسبب الأمطار.

2 **البصلة مابقاش تتحزم:** يجف عودها وورقها فتصبح غير قابلة للحزم

.**العقرب كتحكم:** يستعملون مواد في البيت كالقطران فلا تدخله أصلا.

.**القصبة كتتلجم:** ايتم فتح أحد جانبيها ولجمه بأسلاك وخيوط لتصبح جاهزة لإزالة التين الشوكي.

3 (5) خمسة أيام منه يدخل منزل الطرفة

4 (12) اثنا عشر يوما منه يدخل السمائم

5 (11) احدى عشر منه يدخل برج الأسد.

6 (18) ثمانية عشر منه يدخل منزل الجبهة.

7 (24) أربعة وعشرون يوما منه يدخل عنه تقسيم الشمس وهي منزلة الجبهة.

فترة تتميز بالحرارة الشديدة فينصح خلالها باستهلاك زيت الزيتون لتقوية مناعة الجسم حتى صار قولهم مثلا: "**في أوُسّو... زيتكْ ماتْدسُو**".

خلال يومه الحادي عشر يدخل برج الأسد، وفي اليوم الموالي تدخل السمائم، وفي اليوم الثامن عشر

منه تدخل منزلة **الجَبهَةْ (من 31 يوليوز إلى 13غشت/ 18 يوليوز الفلاحي إلى 31 منه)، وهي** المنزلة الوحيدة التي تمتد على مدى 14 يوما حيث ينضاف إليها يوم آخر في السنة الكبيسة، يبرد فيها الليل نسبيا؛ بينما تظل الأجواء حارة نهارا، وأمطارها مطلوبة جدا لتكسير وطأة السْمَايمْ وجفاف التربة، وسقي الأشجار المثمرة والطيور والزواحف[1].

ويلخص الناظم طقوس شهر غشت بقوله:

غُشْتْ أَ[2] خِرْثَانْ عَذْرَ أَيْ[3] خَرِيفْ يَزْ[4] صَرْفَةَ يَدْ[5] سَمَائِمْكْ[6] دَعَ وَكَزْ

خلال اليوم الأول منه يدخل **الخَرِثَّانْ (من 14 غشت إلى 26 غشت /01 غشت الفلاحي إلى 13 منه)** تخلد خلالها الأرض للراحة، وتقل الحاجة إلى المطر، فيتفرغ الناس لأفراحهم وأعراسهم وإراحة أذهانهم من عناء العد والحساب. وتدخل منزلة العدر في يومه الحادي عشر، وفي يومه الرابع عشر تدخل منزلة الصرفة(من 27 غشت إلى 08 شتنبر/ 14. 27 غشت)، ويتميز اليوم السابع عشر منه يوما منه بدخول فصل الخريف.

يتميز يومه العشرون بخروج السمائم **(24 يوليوز إلى 2 شتنبر/1 يوليوز إلى 20 غشت الفلاحي)**، وتعد السْمَايمْ أهم فترات فصل الصيف في الموروث الثقافي الشفوي، وفي أعراف التوزيع الفلكي للمنازل الفلاحية، تتميز بكونها الفترة الأشد حرارة في السنة. تجف خلالها منابع المياه، وتنضج معظم المحاصيل الزراعية والثمار، ويعتكف فيها الفلاحون بمنازلهم خلال الظهيرة، تعد راحة سنوية تقل بها الأنشطة الفلاحية، وتستريح التربة، وتنظم الحفلات والمناسبات العائلية والقبلية، ويستحب أن تسقط في بدايتها بعض الأمطار للتبشير بموسم فلاحي جيد يقول فيها المنازليون كما في العَنْصرَةْ: "إيْلاَ

1 المرجع نفسه والصفحة نفسها.

2 (1) اليوم الأول منه يدخل الخرثان.

3 (11) أحد عشر يوما منه يدخل منزل العدر.

4 (17) السابع عشر يوما منه يدخل فصل الخريف.

5 (14) أربعة عشر يوما منه يدخل منزل الصرف

6 (20) عشرون يوما منه تخرج السمائم.

دَخْلتْ السْمَايمْ بالعبُوسْ، كا يْفَرحَ مُولْ الرَخلَةْ[1] **ويْنكَد مُولْ الكَرمُوصْ"**. تشهد المنطقة خلال هذه الفترة هبوب رياح الشركي الحارة التي تتسبب في إجهاض المواشي، وتتشكل في الأيام الأخيرة منها عواصف رعدية توفر العشب والكلأ للماشية بعد أشهر من القحط والجفاف، لكنها بالمقابل تتسبب في مرض النساء والبهائم (منية، 2008) وتحدث أحيانا خسائر فادحة خاصة بالمناطق الجبلية والمعدنية. ثم تليها مرحلة الاستعدادات للموسم الفلاحي الجديد من خلال مجموعة من الإجراءات تلخصها الأمثال الفلاحية في نصائح أهمها:

- ✓ "ايْلاَ تْكلَّم (تحرك) الرعَد فالسْمَايمْ دير رأسْ مَالكْ بْهَايمْ".
- ✓ "إيْلاَ نفَّخْ الشَركِي فالسْمَايمْ دَبَّر العَلفْ للبْهَايْمْ" (العزيز، 2013).

وقيل عنها أيضا:

وتَّأثْرَا مَايِسْ لاسْتْرَدْ أسْلْهَامْ كَالسْمَايمْ من تحبه أمه تنسج له سلهاما في السمائم

ويجمل الناظم أبرز طقوس ومنازل شهر شتنبر في البيت التالي :

شُتَنْبِرَ طْ[2] سِمَاكْ أَيْ[3] مِيزَانْ عَدِّلْ ويَا وَغَفَّارُ فِي كَبَ[4] حَانْ

تدخل في اليوم التاسع منه منزلة السِمَاكْ (22 شتنبر إلى 04 أكتوبر/ 09 شتنبر الفلاحي إلى 22 منه)

يلخصها قول المنازليين "إذا طلَع السِمَاكْ، ذهبت العِكَاك، وقلَّ على الماء اللِّكاك"، يحل في يومها الأول أو الثاني الاعتدال الخريفي. ويدخل في اليوم الحادي عشر منه برج الميزان الهوائي وهو سابع الأبراج الاثني عشر يمتد بين 11 ستنبر و11أكتوبر

في الثاني والعشرين من شتنبر الفلاحي تدخل منزلة الغِفارْ (الغَفْر) (بين 05 أكتوبر و17 منه /22 شتنبر الفلاحي إلى 05 أكتوبر الفلاحي. سميت كذلك لنقصان ضوء نجومها، يقول فيها العرب: أسعد الليل إذا نزل القمر بالغفر، وخلالها يبدأ موت أعداد كبيرة من الدواجن، وتشبع الكلاب لكثرة جثث المواشي الهالكة، فتهيج ويرتفع احتمال إصابتها بالسعار أكثر من أي وقت آخر من السنة، ويزيد الإقبال على المعالجين التقليديين للسعار.

22. طقوس السنة الفلاحية بين شتنبر ودحنبر.

1 **الرخلة:** العِجلة أو أنثى الثور.

2 (9) تسعة أيام منه يدخل منزل السمك.

3 (11) أحد عشر منه يدخل برج الميزان.

4 (22) اثنان وعشرون يوما منه يدخل منزل الغفر.

يلخص الناظم طقوس ومنازل شهر أكتوبر بالقول:

أُكْتُبُرَ هْ[1] زَبَنٌ يَبِيّ[2] عَقْرَبْ زَيَا حَرْثَ اَلْ[3] اَلْقَلِيبْ وَأَ كْلِيلْ حَيَّ[4]

يتيمز يومه الخامس بدخول منزلة الزبْنَانْ (من 18إلى 30 أكتوبر/ 05 إلى 18 أكتوبر الفلاحي)، تتميز بكثرة الرياح وزوابع الغبار، يستمر فيها تشبع الجو بالرطوبة قبيل حلول فصل الشتاء، ويزداد نفوق الدواجن مما يرفع ثمنها في الأسواق. ويتوقف أصحاب الأشجار المثمرة عن سقي أشجارهم. ويعرف يومه الثاني عشر دخول برج العقرب وهو البرج الثامن من أبراج السنة.

يتميز اليوم الثامن عشر من أكتوبر الفلاحي بدخول منزلة الإكليل (من 31أكتوبر إلى 12 نونبر/من 18 إلى31 أكتوبر الفلاحي) يستمر فيها انخفاض درجات الحرارة ويزداد البرد، وينطلق موسم حرث الحبوب والقطاني البكرية لتوفير العلف للهائم العائدة من الانتجاع. وتبدأ فيها الأشجار بنفض أوراقها، وتشرع بعض أنواع الطيور في الهجرة، خاصة الحمام البري الذي يوجد بكثرة في غابات المنطقة، بينما تحول اللقلاق إلى طائر معمر.

يشهد أخر أيام أكتوبر الفلاحي دخول منزلة القلب (من 13 نونبر إلى 25 منه /31 أكتوبر إلى 12 نونبر الفلاحي): وفيها تزداد فيه كُربةُ أهل البادية، خاصة صغار الفلاحين بفعل بداية البرد، ونقص الكلأ، ويقول فيها الناظم :

إذا طْلعْ القَلبْ جا الشْتَاء كِالكَلبْ وصْار أهل البوادِي في كَرب.

ويلخص الناظم طقوس شهر نونبر بالقول:

نُوَنْبِرْ أَيْ[5] قَوْسٌ يَجِّ[6] شَوْلْ وَيَوْ[7] مِنْهُ الشِّتَاءُ وَكَذَا النُّعَيْمُ كَوْ[8]

يعرف اليوم الحادي عشر من نونبر الفلاحي دخول برج القوس،

وفي اليوم الثالث عشر يوما منه يدخل منزل الشولة (من 26 نونبر إلى 08 دجنبر/ 13 نونبر الفلاحي إلى 25 منه) وهي أولى منازل فصل الشتاء الذي يدخل في اليوم السادس عشر من هذا الشهر،

1 (5) خمسة أيام منه يدخل منزل الزبنان.

2 (12) اثنا عشر يوما منه يدخل برج الحرث.

3 (31) احدى وثلاثين يوما منه يدخل منزل القلب.

4 (18) ثمانية عشر يوما منه يدخل منزل الإكليل.

5 (11) احدى عشر يوما منه يدخل برج القوس.

6 (13) ثلاثة عشر يوما منه يدخل منزل الشولة.

7 (16) ستة عشر يوما منه يدخل فصل الشتاء.

8 (26) ستة وعشرون سوما منه يدخل منزل النعايم.

يسقط فيها ما تبقى من أوراق الأشجار النفضية، وتبدأ تباشير الموسم الفلاحي الجيد، فيشرع كبار الفلاحين في بيع الفائض من مدخراتهم من الزرع، ويشتريه غالبا صغار الفلاحين لانخفاض ثمنه بفعل كثرة العرض وقلة الطلب ففي: "**فمنزلة الشولة اللي بغا يشري الزرع للعولة**"، وعن حرثها يقولون: "**اللّي بْغَا قمح العَوْلة يْحَرْثُو في الشَّوْلَة**"، فلا يزرعون في هذا الوقت إلا الشعير خوفا على القمح من الطيور، يمتاز قمح هذه المنزلة بحجمه الكبير وجودته عند الحصاد.

يتميز اليوم السادس والعشرون من هذا الشهر بدخول منزلة النعايم (**من 09 دجنبر21 منه/26 نونبر إلى 08 دجنبر الفلاحي) التي** تنطلق خلالها أربعينية اللْيالِيْ، فيستيقظ البرد النائم، وتنخفض درجة حرارة الأرض، ويغطي المنطقة الصقيع الدائم، ويقصر النهار للصائم، وتطول فترة نوم الصبيان. ويرتدي فيها الفلاحون والكسابون كبار العمائم، وفي "**النعايم اللي بغا يشري الزرع للهايم**". يزداد فيها إقبال العارفين بالمنازل الفلاحية على شراء الزرع للهائم، لأن غالبية الفلاحين يتخلصون من الفائض منه تجنبا لإنباته، بسبب ضعف الحصانة الجيولوجية لأمراس المنطقة ضد تسرب المياه.

ويختم الناظم قصيدته ببيت يلخص طقوس ومنازل شهر دجنبر بالقول:

دُجَنْبِرُ طْ[1] بَلْدَةٌ يَا الْجَدْيَ انْقِلاَبْ يَبِّ[2] لَيَالِ ذَابِحٌ كَبِّ[3] دَعِ الْحِسَابْ[4]

تسعة أيام منه يدخل منزل البُولدة (**بين22 دجنبر و03 يناير الميلادي /09 .21 دجنبر الفلاحي)** تتميز بشدة رياحها وارتفاع كمية تساقطاتها، وانخفاض درجات الحرارة، لتزامن دخولها وبداية اللْيالِيْ. تموت خلالها الشاردة من الأغنام، ويَغْرُزُ حليب القطيع، وتختفي معظم أنواع الحشرات والزواحف (غازي، 2008)، ومن أهم ما قيل فيها:

."**بَرْدْ البُولدَةْ كيُوصَلِ حتَّى للكبْدَةْ**"، وهذا راجع لشدة البرد وانخفاض درجة الحرارة في هذه المنزلة.

."**فالبُولدَةْ كتولي العكَوزة جلدة والعروسة قردة**"، في إشارة إلى معاناة العجائز والعرائس الجدد خلال هذه المنزلة من شدة البرد.

ويتميز اليوم الثاني والعشرون منه بدخول منزلة سعد الذابح (**04 .16يناير/ 22 دجنبر. 03 يناير الفلاحي)** وهي ثالث منازل أربعينية اللْيالِيْ، يتم خلالها الاحتفال برأس السنة الفلاحية/ الأمازيغية. تتميز هذه المنزلة بشدة البرد وتراجع المؤونة، وعتمة الأمطار التي تقتل نعاج الزرائب المكشوفة خاصة عند ولادتها. قيل فيها "**الذَّابح، يقتل النعجة ويْخْلِّي أولادها تْتْصَايْح**". كما أن برودتها تؤثر بشكل

1 (9) تسعة أيام منه يدخل منزل البُلدة.

2 (12) اثنا عشر يوما منه تدخل الليالي

3 (22) اثنان وعشرون يوما منه يدخل سعد ذابح.

4 للمزيد ينظر الجدول التوضيحي لمرادفات الحروف المستعملة في قصيدة التقويم الزمني **(الملحق 5)**

ملحوظ على جودة لحوم الأنعام، وعلى باقي الحيوانات المدجنة، وعلى الفلاح ومصادر رزقه أيضا "**سَعدْ الذَّابحْ لا وُجُوه تَنْشَابَه لا كْلاب تَتْنَابحْ، وَلاَ عطَّاررابْحْ والماعِز ما فِيه ما يتذبَحْ**"، أي أن الجميع يعكف عن الخروج من شدة البرد، بما في ذلك الكلاب التي تبقى قابعة في مخابئها، فلا يسمع لها نباح.

خاتمة :

في محصلة الفصل يمكن القول إن الاسترشاد بالنجوم وعلم الفلك في الزراعة تراث ثقافي عريق في مناطق سيادة النمط الزراعي خاصة دول المغارب، يحاول من خلاله الفلاحون وغيرهم تسخير الطبيعة لصالحهم، عن طريق الالتزام بأمثال وحكم السابقين الملخصة لتجاربهم وخبراتهم. وتبرز طريقة تفاعل الساكنة المحلية مع هذه التغيرات سواء على مستوى الحياة اليومية أو الأنشطة الفلاحية، وحرصوا على ذلك من خلال ترديد تلك الأقوال والالتزام بمضمونها على تفادي لسلبيات هذه الأحوال، والاستفادة من إيجابياتها بوعي أو بدون وعي بذلك. ويعد الانتجاع والتنقل الدائم أحد أهم أسباب الصراع القبلي وضراوة مقاومة قبائل المنطقة لكل محاولات فرنسا للتقدم في الأراضي الزيانية[1]. وسعى المنازليون بدورهم لتخليد طقوس ومنازل السنة الفلاحية في قصائد وأشعار كثيرة ضمنت استمرار العديد من طقوس السنة الفلاحية خاصة الاحتفال برأس السنة الفلاحية/ الأمازيغية و الحرص على حماية القطيع والمزروعات والعائلة خاصة خلال فترة أوج الحر(السمايم) و فترة أوج القر (الليالي) بينما ظلت منازل فترات راحة الفلاحين شبه منسية لتزامنها مع فترات الأعراس و الاحتفالات العائلية والقبلية.

الملحق1: جدول توضيحي لمرادفات الحروف المستعملة في قصيدة التقويم الزمني

أ =1	ب= 2	ج= 3	د=4	هـ=5	و=6	ز=7	ح=8	ط=9	ي= 10	ك= 20	ل= 30	م=40	ن=50
ص= 60	ع= 70	ف= 80	ض= 90	ق= 100	ر= 200	س= 300	ت= 400	ث= 500	خ= 600	ذ= 700	ظ= 800	غ= 900	ش= 1000

1 - Célérier Jean, « La Transhumance Dans Le Moyen Atlas », Hespéris, T. VI. Le 1er Trimestre 1927, P63

الملحق 2: جانب من القصيدة التراثية موضوع المقال

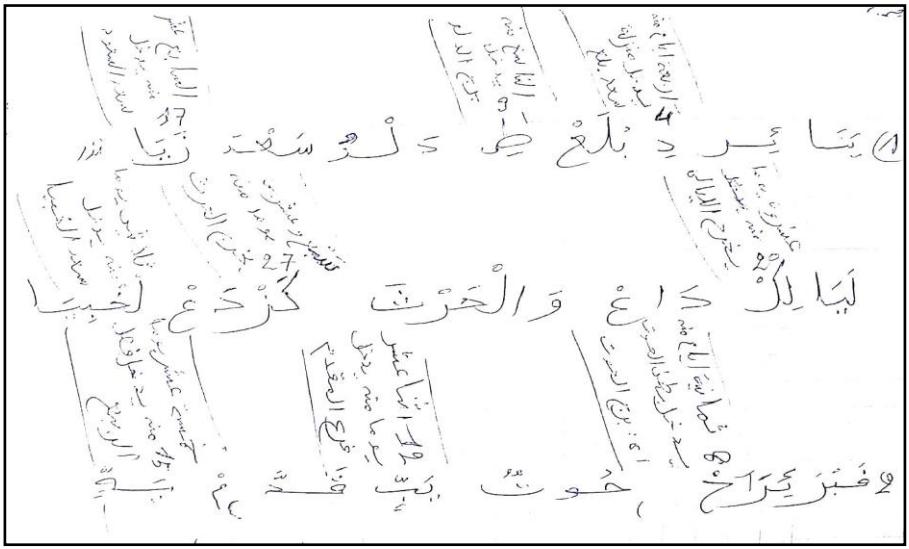

قائمة المصادروالمراجع:

القرآن، سورة يس .رواية ورش.

الجوهري ,ا .إ (1987) .الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية .بيروت، لبنان :دار العلم للملايين.

بوليفة، عبدالعزيز .(2013) .المنازل الفلاحية بالريف الغربي ,كتاب التراث في جبال الريف .المغرب :واقع وآفاق، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

بل العافية منية. (2008). المرأة في الأمثال المغربية. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

دوتي ,إدموند .(2011) .مراكش .ترجمة: ع .ا .حزل ,المغرب :منشورات مرسم، مطبعة أبي رقراق.

سميح ,ع .م .(1994) .القرآن وعلوم الأرض .منشورات الزهراء للإعلام العربي.

غازي ,م .(2008) .خروج السمايم نقايم .سلا، المغرب ,المغرب :دار التوحيدي للنشر والتوزيع.

لحسن ,أ .(2013) .السلطان المحلي بين القبيلة والحزب دراسة سوسيولوجية للسوك السياسي لدى النخبة المحلية المغربية .(Vol. 1) الرباط، المغرب :دار الأمان.

محمد ,ا .(2013) .الماء والمعتقد في التراث الثقافي بمدينة تطوان .Dans التراث بجبال الريف :واقع وآفاق، المغرب :مركز الدراسات البيئية والتاريخية، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 40، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.